الأدب النسوي : إشكالية مصطلح ... أدب بين الإعتراف و الرفض .

Littérature féminine : problématique du terme… une littérature entre admettre et rejet

خضار سماحية

جامعة أحمد دراية – أدرار

semakhaddar@yahoo.com

إشراف الأستاذ الدكتور : عبد الرحمان مزيان

تاريخ الارسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2018-09-24	2018-10-03	2019-01-18

ملخص :

يُعدّ الخوض في الكتابة النسوية أمرا في غاية الصعوبة و التعقيد، و مكمـــــــن الصعوبة يتجلى في العجز عن ضبط المصطلح و الاتفاق على تسمية واحدة جامعة لكل الآراء و كذا الاعتراف بالوجود الحقيقي لما يسمّى بـ (أدب نسوي) الذي مازال يتأرجح بين القبول و الرفض من طرف النقاد و الأدباء بمن فيهم المرأة الكاتبة نفسها؛ إذ يحـــاول هذا المقال التعرض لأهم وجهات النظر التي تطرقت للقضية و التي تُطرح دوما في الساحـــة النقدية العربية خاصة على طاولة نقاش حاد.

الكلمات المفتاحية : الأدب النسوي؛ إشكالية المصطلح؛ الاعتراف؛ الرفض؛ المرأة الكاتبة؛ الساحة النقدية.

Résumé :

Parler sur l'écriture féminine est très difficile et compliqué, cette difficulté qui réside dans l'incapacité de définir le terme et de s'entendre sur une dénomination unique pour toutes les opinions ainsi que l'admettre de l'existence réelle de la soi-disant (littérature féminine), qui oscille toujours entre l'acceptation et le rejet par les critiques et les écrivains y compris la femme écrivaine elle-même ; pour cela cet article tente d'exposer les points de vue les plus importants qui ont été soulevés sur la question, qui ont toujours présenté sur le terrain critique –l'arabe en particulier- sur une table de discussion aigue.

Mots clés : littérature féminine ; problématique du terme ; admettre ; rejet ; femme écrivaine ; terrain critique .

تمهـيد :

الأدب النسوي/الأدب النسائي/الأدب الأنثوي ... أزمة مصطلح، أزمة أدب بين قبول أو رفض أو قبول مشروط، لكنّه حقيقة لا مفر منها، حقيقة تصارع من أجل إرساء معالم الذات النسوية منذ الزمن الأول للحكي إلى زمن اقتحام المرأة عالم الكتابة و اللغة بوصفها كاتبة مؤلفة و بوصفها ذاتا مبدعة لا مجرد أداة سردية و موضوع لغوي .

إنّ المتأمل في رحلة الزمان و المكان يدرك جليّا أنّ الأدب لم يكن يوما وقفا على الرجال دون النساء، إذ عرفت مسيرة الأدب العالمي أديبات تميّزن بإبداعهن، حيث نقف على نماذج لا يمكن تجاهلها لنساء بارزات الحجة و البيان، منتجات فكريا و معرفيا " لهنّ نصيب في الحضارة التي لم تكن في مرحلة من مراحلها متعلقة بالذكور " [1]، فما عُرف من أعداد - عن نساء أسهمن في مجالات السياسة و الولاية و القضاء و الفقه و التعليم و الرواية و الشعر و النثر و كل مجالات الحياة ليس سوى رموز بمثابة شهادات للكثير مثلهن، و الباحث في الذخيرة الأدبية العالمية عامة و العربية خاصة يجد آثارا أدبية نسوية وفيرة خلدتها مصادر التراث إن في النظم كانت أم في النثر.

إنّ المرأة هي القاصة الأولى في التاريخ، فمن خلال القصص التي روتها الأمهات والجدات اكتسب المجتمع الفكرة الأولى عن عنصر النثر المحمّل بمعاني الحب و العدالة و التضحية، و ما كتاب ألف ليلة و ليلة إلّا برهان على قوة تأثير القصة و مدى فاعلية السرد و الوصف فيها، حيث تمكّنت شهرزاد من إنقاذ بنات جنسها من الظلم الذكوري البشع عن طريق توظيفها لعبقرية الحكي التي مكّنتها من بلوغ المقصد و المرام، إذ كان لسحر القصة و طريقة سردها دور في إبهار الظالم و تشويقه، و هكذا برّأت هذه المرأة الجارية باقي النساء من اللعنة التي ألحقها بهنّ جنسهن حيث أنّ الكلمة تصبح - بطريقة غير مباشرة - سلاحا تحمي المرأة من عنف الرجل عندما " تدري كيف تختار و تنسج كلماتها لكي تنفذ كسهام إلى روح المجرم و بذلك تواجه العنف بالحوار. فاعتماد الكلمة كسلاح وحيد في صراع قاتل يشكّل اختيارا جريئا بشكل نادر" [2]، إذ يمكن الكشف عن أبعاد هذه القضية المتمثِّلة في المرأة الفاعلة، صاحبة النتاج السردي الذي يحقق كيانها بوصفها " كائن شفاف و عاطفي تتأثر و تؤثر و هي شاعرة بطبيعتها و طبعها، حالمة في كل تفاصيل حياتها، ترسم الصور و تبدع الكلمات الموسيقية العذبة، و تعطي مفردة تحلّق فوق السحب، و تلامس النجوم مطوقة بالفل و الياسمين " [3]

إنّ هذا الإبداع السردي الذي فاضت به أنامل المرأة باختلاف الزمـان و المكـان هو ما أثار قضية المصطلح الأنسب له أولا، ثم قضية الاعتراف به كأدب مستقل قائم بذاتـــــه يملك خصوصية التفرد و التميّز .

أولا : إشكالية المصطلح و اضطراب التسمية :

أدب نسائي/أدب نسوي/أدب أنثوي ... أيّ المصطلحات أحقّ ؟

إنّ قضية الأدب النسوي تُطرح دوما في الساحة النقدية العربية خاصة على طاولة نقاش حاد، غالبا ما ينتهي باللاتفاق، حيث تتذبذب الآراء بين القبول و الرفض و بحث عن الاعتراف في محاولة لإرساء أدب نابع من صميم المرأة، و لكن في خضم هذا النقاش يدق طارقٌ باب الذهن ليقول : كيف يتم الاعتراف بهذا الأدب و المصطلح مازال تائها و لم يُتفق عليه؟

إنّ جوهر المشكلة يكمن في العجز عن ضبط المصطلح و الاتفاق على تسمية واحدة جامعة لكل الآراء، فما نجده في الساحة النقدية العربية يصيب المرء بالدوار، إذ نلفي تسميات عدة لهذا الأدب من قبيل : (أدب نسائي)، (أدب أنثوي) ... عدا الأوصاف التي ألصقها به البعض مثل : (الأدب الهامشي)، (الأدب الإباحي)، (أدب الجسد) و غيرها .

و نعرّض فيما يلي لبعض آراء النقاد الذين خاضوا غمار الخلاف النقدي حول التسمية كل حسب قناعاته المدعمة بحجج يراها الأنسب .

يعرّف (نور الدين الجريبي) الأدب النسوي بقوله : " إنّه أدب ينخرط في الحركة النسائية الهادفة إلى النّضال من أجل تحسين وضع المرأة في المجتمع و هي النزعة التي يعبّر عنها بالفرنسية بمصطلح: (*Féministe*) فالأدب النسائي هو المقابل العربي لـ (*Littérature Féministe*) و ليس (*Littérature féminine*) و هي عبارة تترجم بأدب أنثوي "[4]؛ فنور الدين الجريبي عرض مفهومه للأدب النسائي في حين لم يعطي مفهوما لمصطلحي : أدب نسوي، و أدب أنثوي .

و في أطروحة (فرج بن رمضان) الموسومة بـ (المحتوى الاقتصادي و الاجتماعي لقضية الجنس و المرأة عند نوال السعداوي) يعبّر عن مفهومه للأدب النسائي قائلا : " مصطلح الأدب النسائي يبدو مستمدا من خصوصية الموضوع المطروق و ليس قائما في الأساس على معايير شكلية نوعية، لذلك فهو لا ينطوي على قيمة خطيرة من وجهة نظر إنشائية و إنّما يحمل في مقابل ذلك دلالة ثقافية تاريخية لا يُستهان بها شأن العديد من المصطلحات الجارية على ألسنة الدارسين الشائعة في

الآثار النقدية " [5] ؛ إذ يرى حسب رأيه هذا أنّ مصطلح الأدب النسائي يشمل كل ما كُتب عن المرأة و كل ما هو نسائي، أي أن تكون المواضيع المطروقة أنثوية نسوية سواء من طرف الرجل أم المرأة.

و في ماهية الفرق بين (أدب نسوي) و (أدب أنثوي) يمكننا القول أنّه " ليس كل أدب أنثوي أدبا تنتجه المرأة بالضرورة رغم اللبس و التداخل بين المصطلحين، حيث يصعب الفصل بينهما و تمثُّل المؤنث منفصل عن النّساء، رغم أنّ المؤنث يحيلنا مباشرة إلى التمثُّل البيولوجي، بينما نسائي أو نسوي يأخذ بسمة التخصيص أي تحديد نوع الجنس " [6] إلّا أنّ حقل المؤنث لا يقف عند حد الأوحد، أي كصفة مميِّزة لجنس النّساء، " فالمؤنث حقل شاسع يمتلك عدة سجلات، فإلى جانب المؤنث الحقيقي الذي يحيل مباشرة على جنس النّساء، هنالك المؤنث اللّفظي و المجازي، إضافة لما يمتلكه من قابلية الاشتغال في مستويي الرّمز و العلامة " [7]؛ بمعنى أنّ الرجل يمكن أن يكتب نصّا مؤنّثا كما المرأة، و ليس نصّا نسائيا بعدّ مصطلح "مؤنّث" أعمّ و أشمل من مصطلح "نساء" .

و بين المصطلحات الثلاثة يميّز (محمود طرشونة) قائلا : " هناك (الرواية النسوية) بكسر النون لأنّها مشتقّة من (نسوة) و يذكر (الأدب النسوي) الجامع بين الشّعر و النثر و هو أدب ملتزم، حمّال رسالة تتمثّل في الدفاع عن حقوق المرأة و قد يتجاوز المطالبة بالمساواة بين الرجل و المرأة إلى إثبات التفوق و الامتياز، و فيه لهجة نضالية في أسلوب خطابي يتّصف في أغلب الأحيان بالتقريرية والتبسيط على حساب الفن و أدبية النصوص" [8]؛ فالأدب النسوي بالنسبة لـ (طرشونة) هو أدب ملتزم صاحب قضية تتمثل في المطالبة بحقوق المرأة أكثر منه صاحب فن وأدبية .

ويضيف (طرشونة) قائلا : " و هناك (الحساسية الأنثوية) و ليست (الرواية الأنثوية) لأنّه يصعب تمييز اتجاه يتصف بالأنوثة و هي ليست نظرة أو موقفا بقدر ما هي نكهة خاصة نجدها في روايات جميع النّساء تقريبا، نحس فيها أنّ ما نقرأه صادر عن معاناة امرأة عاشت حالة ما وعبّرت عنها بطريقة فنيّة مثل عاطفة الأمومة أو العشق أو الخوف، و كلّها غير خاصة بالمرأة بما في ذلك الأمومة ! و لكنّ التعبير عنها نحس فيه ببعد خاص قد لا يتوفر إلّا في كتابات الأنثى"[9]؛ فـ (طرشونة) هنا يعرّف الأنوثة أو ما أسماه بـ (الحساسية الأنثوية) بأنّها نكهة خاصة

وميزة تميّز جلّ كتابات النّساء، فالأنوثة وحدها تنفرد بحساسية مفرطة و عاطفة مرهفة لا نجدها إلّا عند المرأة .

و يكمل نفس الناقد إذ يقول " ... و هناك (الرواية النسوية) و هي بكل بساطة الرواية التي تكتبها المرأة و هذا ليس مصطلحا فنيّا و لا يدل على اتجاه أو مدرسة أو أيديولوجية ما" [10]، فالأدب النسائي حسب تعريفه هذا هو كل ما تكتبه المرأة من إبداعات أدبية .

و على كل فإنّ عمق الرواية المنبثقة من ثنايا النصوص تستحق أن يُشاد بها على مستوى الإبداع " و هو الأمر الذي يستدعي تميّزا بين ما هو (نسائي) مكتوب من قبل النساء، و ما هو نسوي أي وعي فكري و معرفي" [11].

و عليه فإنّ (النسوي) أعمّ و أشمل من النسائي، كما أنّه ينحو نحو ما هو إيجابي و خلّاق، في حين أنّ النسائي قد يتضمن أبعادا إيجابية و العكس، حسب مدى عمق و شفافية رؤية المرأة الكاتبة و كذا طبيعة نظرتها و نقدها لواقعها الاجتماعي .

فعلى الرغم من أنّ المصطلحات : (نسائي)، (نسوي)، (أنثوي)، تبدو متقاربة للوهلة الأولى، غير أنّها تتضمن فروق تتراوح بين التمثّل البيولوجي و تحديد الجنس الأنثوي، إلى الوعي الفكري المعرفي لنستنتج في النهاية أنّ مصطلح (نسوي) أعمّ و أشمل لأنّه يعبّر عن فكر و رؤية شاملو واعية للمجتمع، و عليه فالأصح أن نقول (أدب نسوي) .

و في رؤية أخرى، يُطرح مصطلح "أدب نسائي" كمحاولة لإيجاد بديل آخر أكثر شمولية، يقول (الغدامي) " نشاهد المرأة تندفع وراء مصطلح (إنساني) داعية إلى الأخذ به و نبذ مصطلح "التأنيث) .

ولقد ظهرت مجلة (الكاتبة) في لندن تحمل في برنامجها و في مقولاتها و مقالاتها دعوة صريحة إلى (أنسنة اللغة) و إلى (الأدب الإنساني) و (الكتابة الإنسانية) و تنفي بإصرار قاطع فكرة (التأنيث) و كأنّها بذلك تُسهِم في عملية استرجال المرأة و تعميق دور المرأة في تذكير اللغة " [12] .

فمصطلح (الأدب الإنساني) و إن كان محاولة لإيجاد بديل عام و شامل فهو أيضا علامة واضحة للتهرّب من مصطلح (الأدب النسوي) و (التأنيث) لما في ذلك من شعور بالتحقير و الدونية تجاه هذا الإبداع .

ثانيا : أدب نسوي ... بين التقبّل و الرفض :

أدب نسوي ... أيوجد حقا ؟

يُعدّ الخوض في الكتابة النسوية أمرا في غاية الصعوبة و التعقيد، خاصة إذا ما أضفنا له إشكالية تلقي هذا الأدب من طرف المجتمع، و مكمن الصعوبة يتجلى فيما أثير حوله من تفسيرات و تحليلات جانبت - في كثير من الأحيان - الطرح الموضوعي، و لعلّ أولى المخاطر التي تواجهنا في الحديث عن هذا الموضوع – كما أسلفنا الذكر - هو المصطلح في حد ذاته، هذا المصطلح الذي لم يرسى بعد على بر آمن، ثمّ إن حدث و وُجدت التسمية – على اختلاف أشكالها - هل يوجد حقيقة هذا المسّمى ؟

إنّ الاعتراف بالوجود الحقيقي لما يسمّى بـ (أدب نسوي) مازال يتأرجح بين القبول و الرفض من طرف النقاد و الأدباء بمن فيهم المرأة الكاتبة نفسها، " حيث تميل معظم هذه الآراء إلى الانتقاص من كفاءات النّساء و رفض الإقرار بتميّز كتاباتهن فلا شكّ في أنّ المواقف المتحيّزة ضد المرأة و قدراتها الفكرية و الإبداعية تقوم على أحكام مسبقة تعزّز إقصاءها من فعالية الإنتاج و الإبداع و تنظر إليها وفق البعد الفيزيولوجي، أي باعتبارها جسدا عليه أن يكرّر وظائفه تبعا لذاكرة مجتمعية تنظر بعين النقص إلى مؤهلات المرأة و قدراتها " [13]؛ و الواقع أنّ هذا الطرح لا يمكن تبريره علميا.

ومن أسباب المواقف الرافضة لوجود (الأدب النسوي) أساسا " ما ينبني على مفهوم عام للأدب بدعوى قوانين تشكُّله الثابتة و المشتركة بين الجنسين مثل التشابه على مستوى اشتغال المخيَّلة أو استثمار الخبرات الفنيّة و الجمالية و الفكرية " [14] .

فالحجة إذن أنّ لا جنس للكتابة، فهي واحدة سواء أكان المبدع رجلا أم امرأة، بمعنى أنّ لا خصوصية للأدب الذي تكتبه المرأة، حيث أنّ الرجل و المرأة يعيشان في البيئة نفسها والظروف ذاتها، و الاختلاف و التمايز ينتج عن الظروف الفردية لا نوع الجنس .

و هذه (سيمون دو بوفوار) (*Simone De Beauvoir*) ترى أنّ المرأة " ليس لها جوهر أو طبيعة أبدية، بل التاريخ و المجتمع الذي تعيش فيه يرسم لها في كل حقبة التجويف من أجل قالب تتقيّد به " [15]، فدو بوفوار برؤيتها هذه إنّما تؤكّد على السيطرة الكليّة و الأبدية للواقع الاجتماعي، و التاريخ على وجود المرأة و كينونتها إلى درجة رسم الحدود و القوالب التّي عليها التقيّد بها، فكيف لها أن تتبنى أدبا خاصا بها أو أن تستقل بإبداع ما؟

و فيما يقارب هذه الرؤية نجد الناقدة (يمنى العيد) تقّر " بوجود خصوصية تميّز كتابة المرأة إلّا أنّها خصوصية غير طبيعية؛ أي أنّها ليست ثابتة، بل هي نتاج ظروف اجتماعية داخل بيئة معيّنة

و في ظروف تاريخية خاصّة، فهي إذن ليست خصوصية فنيّة، بل إنّها تتغيّر حسب المكان و الزمان لتتقوقع في كل الحالات داخل عالم المرأة الصغير الذي لا يتجاوز همومها الذاتية إلى الهم الإنساني بشكل أعمق" [16]؛ حيث يُفهم من رؤية (يمنى العيد) أنّها تقّر بوجود هذه الخصوصية، ومن جهة أخرى ترفض الاحتكام إليها كتصنيف، فمتى زالت أشكال القهر الاجتماعي المطبّق على المرأة ستزول هذه الخصوصية إذ هي خصوصية مؤقتة !

و ها هي الناقدة (خالدة سعيد) بدورها تتوصل إلى أنّ إطلاق مصطلح (الأدب النسوي) على إنتاج المرأة الأدبي ينوء عن الموضوعية و الدقة؛ و حجّتها في هذه الرؤية أنّ أدب المرأة لا يملك الخصوصية التّي تميّزه عن غيره و بالتالي فلا شيء يؤهله لأن يكون أدبا حاملا لهوية معينة خاصة به، فالقول بكتابة إبداعية نسائية تمتلك هويتها و ملامحها الخاصة في نظر (خالدة سعيد) يقضي إلى واحد من حكمين: إما كتابة ذكورية تمتلك مثل هذه الهوية و هذه الخصوصية و هو ما يردها بدورها إلى الفئوية الجنسية فلا تعود صالحة كمقياس و مركز " [17]؛ و لأنّ تصنيف إبداع المرأة قائم على أساس الجنس (ذكر/أنثى) فهي ترفضه إذ لا يُعَدّ معيارا يصِّح الاحتكام إليه في عملية التصنيف، لأنّ من شأنه أن يحصر الأدب في الفئوية، فيُقال: هذا أدب رجالي، و ذاك أدب نسائي فيتجزأ الأدب و يخرج عن مفهومه العام .

و يتبنّى هذا الرأي كذلك الناقد (بوشوشة بن جمعة) حين يقول : " الحال أنّ التمييز بين أدب نسائي و أدب رجالي على أساس الجنس مرفوض من قبل جلّ من كتب في الموضوع، فلا معنى لقولنا أنّ هذه الرواية أو تلك نسائية لمجرد أنّ مؤلفتها امرأة، إذ ليس من المناسب أن نصنِّف الأدب على أساس الذكورة و الأنوثة إلّا إذا اقتنعنا بوجود ما يبرر إفراد الأدب النسائي بالنظر و الدرس" [18]؛ إذ يرفض بن جمعة و جود ما اصطلح عليه (أدب نسائي) لانتفاء وجود الخصوصية، لكنّه يترك باب القبول مواربا في حال تشكّل هذه الخصوصية و الاقتناع بها .

ولم يختلف كثيرا موقف المرأة المبدعة عن المنظور النقدي العربي، حيث تراوح أيضا بين الرفض و التحفظ و التذبذب، و يُفسَّر هذا بوجود أسباب عدة لعل أثقلها وطئا هي طبيعة ثقافة المجتمع السائدة إذ مازالت ثقافة ذكورية أسّست لنسق ثقافي حول تبعية المرأة للرجل و دونيتها وهامشيتها، هذه الثقافة التي ولّدت نظرة سلبية حيال الأديبات تجاه ما يكتبن مقابل ما يكتبه الرجال، بالإضافة إلى غياب نقد علمي يتسّم بالدقة و الموضوعية .

وكبداية عن مواقف الأديبات آثرنا أن نستهل بموقف (غادة السمان) التي ترفض المصطلح رفضا قاطعا لأنّها ترى " أنّ الأدب واحد لا يُمكن تصنيفه إلى أدب رجالي و آخر نسائي رغم اعترافها بوجود خصوصية في أدب المرأة، كما ترى أنّ جذور هذه التسمية نابعة من أسلوبنا الشرقي في التفكير" 9[1]، فغادة السمان على الرغم من إقرارها بوجود خصوصية تميّز ما تكتبه المرأة غير أنّها ترفض هذه التسمية .

ثم نأتي على موقف (خناثة بنونة) التي تتبنى الموقف ذاته و لكن بأكثر حدة حيث " ترفض هذا التصنيف على أساس أنّ الإنتاج يعطي نفسه و يملك الحكم عليه فيما يقدّمه دون اعتبار للقلم سواء كان رجاليا أم نسائيا " [20]، و صرّحت (سهام بيومي) عن موقف مشابه حين اعتبرت أنّ " من يقبلن ذلك من الكاتبات مجرد نساء يتعاطين الكتابة و لسن أديبات حقيقيات و هنّ فرضن تلك القيود على أنفسهنّ قبل أن يفرضها أحد" [21] .

وترفض (نجوى بركات) بدورها التصنيف و تعِدُّه شَرَكا للإيقاع بحرية المرأة ! حين ترمي بخاطرتها لتقول : " ... شاخت ثورتي الجميلة و تحولت إلى مؤسسة، إلى نفخ . قالوا لي: اكتبي، لكن لا تتطاولي على ما يتعداك و يتجاوز حدود جنسك اللطيف . لك الأدب النسائي فارتعي فيه ما شئت - دروب النضال مازالت طويلة و قرون القهر لم تُولِّي كما كنت تأملين " [22] .

و نواصل سلسلة الرافضات مع (لطيفة الزيات) التي ترى انتقاصا من القيمة الفنية لإبداعها إن هي قبلت بما يسمى بـ (أدب نسائي) و رفضها هذا " دفاعا عن النفس في وجه محاولة مستمرة في أمتنا العربية لتبويب الأدب الذي تكتبه المرأة في مكانة أدبية و فنيّة أقلّ من ذلك الذي يكتبه الرجل، و في استخدام وصف الأدب النسائي كوصف يتضمن تحقيرا لهذا الأدب " [23].

فهذه هي رؤية لطيفة الزيات إلى الكتابة النسوية حيث ترفضها بإلحاح خشية المساس بقيمة إبداعها و تهميش ما تكتب أمام مركزية الرجل، إذ يظهر أنّ رفضها مفروض من واقع سائد تحكمه ثقافة ذكورية تسيطر عليه في كل أبعاده، جرى ذلك حسب القانون التاريخي الذي يمنع المرأة من تعلّم الكتابة، فما بالك بالاعتراف بأدبها ! و هو القانون الذي صاغه الفقيه البغدادي (خير الدين نعمان بن أبي الثناء) المكنّى بـ (نعمان الآلوسي) (1836-1899) في كتابه الموسوم (الإصابة في منع النّساء من الكتابة) في عام (1897)، و الذي تزامن مع ظهور ملامح حركة التنوير في العالم العربي في القرن الثامن عشر، إذ يوصي الآلوسي في كتابه قائلا: " أما تعليم النّساء القراءة و الكتابة فأعوذ بالله، إذ لا أرى شيئا أضرّ منه بهنّ، فإنّهن لما كنّ مجبولات على الغدر

كان حصولهن على هذه الملكة من أعظم وسائل الشر و الفساد، و أما الكتابة فأوّل ما تقدر المرأة على تأليف الكلام بها، فإنّه سيكون رسالة إلى زيد و رقعة إلى عمر، و بيتا من الشّعر إلى عزب، و شيئا آخر إلى رجل آخر، فمثل النّساء و الكتابة، كمثل شرير سفيه تهدي إليه سيفا أو سكير تعطيه زجاجة خمر، فاللبيب من الرجال من ترك زوجته في حالة من الجهل و العمى فهو أصلح لهنّ و أنفع " [24] !

و على الرغم من هذا الفكر الذي لم يكن شاذا آنذاك بل كان سائدا، إلّا أنّ المرأة ظهرت من بين الركام لتخطف القلم من يد الرجل و تدخل عالم اللغة بوصفها كاتبة و مؤلفة، كيان مبدع لا مجرد موضوع للغة أو رمز لقصيدة أو أداة للسرد، و أكبر دليل على ذلك أن وُجد من النقاد من يؤيد فكرة الإبداع النسوي و يعترف بتميُّزه كأدب قائم بذاته ذا خصوصية .

ف(جورج طرابيشي) يرى أنّ السرد النسوي متميّز بكونه شحنات عاطفية لأنّ " السرد عند الرجل هو إعادة بناء العالم أمّا عند المرأة فهو بؤرة أحاسيس، و الفرق بينهما أنّ الأول يكتب بعقله أما الثاني فيكتب بقلبه" [25]، و الحقيقة أنّ ما لامس المشاعر و قرُب من الأحاسيس هو الذي يُشعر القارئ بلذة القراءة و متعتها، أما ما تلبّس بكثير من المنطق و غلب عليه جانب العقل فهو أبعد عن الكتابة الفنية و أقرب إلى الأدب الإصلاحي .

و نأتي كذلك بموقف (توفيق بكار) ضمن قائمة المؤيدين إذ يرى بأننا " أصبحنا مع هذا الإبداع النسائي ننظر إلى أنفسنا و مجتمعاتنا و تاريخنا بعينين اثنتين لا بعين واحدة، و نعيها بعقلين، وندركها بحِسَّيْن " [26]، ما يؤكّد أنّ بكار وجد في الإبداع النسوي طرافة و إضافة متميزة إلى ما يبدعه الرجال، بعدّه يلقي أضواء جديدة على واقعنا.

وإذا عدنا إلى النساء نلفي (أليسيا أوستريكر) (*Alicia Suskin Ostriker*) .أ. تتفاءل بأنّ الكتابة النسوية " سوف تحقق ذاتها و حريتها كلّما تيقنت المرأة من نفسها، و كلّما كتبت المرأة بوصفها امرأة وكلّما أصرّت على أنوثتها فإنّها ستزداد قوة، و سيقدّر لهذه العملية الاستمرار، وكاستجابة لمفهوم أنّ الفن انعكاس للحياة، فإنّنا سنرى اليوم الذي ندرك فيه المعنى الحقيقي لكون المرأة أنثى و لكون الرجل ذكرا، و المعنى الحقيقي لكلمة إنسان" [27].

وموقفها يعد بحق موقف مستبشر بمستقبل متفائل لأدب المرأة شريطة التحلي بالقوة و الثقة .

وفي رؤية أخرى لـ (كارمن البستاني) يبدو الاختلاف مطلبا تدعو إليه نسوة مبدعات هي منهنّ؛ هذه الرؤية التي ترفض فكرة " أن يكون للمرأة و الرجل الماضي نفسه، و لا الثقافة نفسها، فكيف يكون لهما في هذه الحالة التفكير نفسه و الأسلوب نفسه" [28] .

إنّها دعوة صريحة لنبذ نقاط التشابه، و إرساء فكرة الاختلاف و التميّز عن الرجل و أدبه في الماضي و الثقافة و التفكير و الأسلوب .

خـاتمة :

ومن خلال الآراء التي استقيناها لبعض النقاد و الأدباء حول (الأدب النسوي) نستنتج أنّ الاعتراف به بشكل مطلق غير وارد حيث ثم ربط الرؤى المقدمة بالواقع الاجتماعي و هو في الحقيقة تبرير فيه ما فيه و عليه ما عليه، و قد يُقبل جزئيا لأنّ وجود المصطلح حقيقة والاعتراف به أو رفضه قضية نقدية جادة يجب أن تحتكم إلى الدقة و الموضوعية في التعامل و الطرح .

و لكن، وعلى الرغم من المشككين في قدرة المرأة على الإبداع، و كل ما يقف حجر عثرة أمامها، غير أنّها فرضت نفسها و أثبتت جدارتها في حقول معرفية شتى و في الأدب خاصة، ضاربة أروع الأمثلة في رفع التحدي و لا أدلَّ على ذلك مثل الكتابات السردية النسائية التي تتزايد و تثرى كما و كيفا، و التي بدأت تكتسي خصوصيتها من طرحها الإيجابي للتساؤلات وخلخلتها للقوالب الجاهزة و الأفكار المشكوكة في ظل كتابة واعية تعبر عن عمق إحساس المرأة دون إهمال آليات اشتغال اللغة، فالمرأة الكاتبة كائن فعال، تجيد التأقلم و التعايش في وسطها بل وأكثر من ذلك توظف دهاءً يمكّنها من فرض ناموسها الخاص على هذا الوسط (المجتمع) بقضاياه و أبجدياته، و تُحرِّكها بما يروقها و يخدم مصلحتها في الحفاظ على كينونتها الأنثوية من جهة، و الاجتماعية الفاعلة من جهة أخرى .

الإحـالات :

1. فاطمة المرنيسي، شهرزاد ترحل إلى الغرب- تر: فاطمة الزهراء أزرويل، المركز الثقافي العربي و منشورات الفنك، الدار البيضاء، ط1 – 2002 ، ص 66

2.هناء ذيبان، معاناة المرأة المبدعة، مجلة الجمهورية – اليمن، الأربعاء 16 شعبان 1431 هـ الموافق لـ 28 يوليو/جويلية 2010 م، ص 19

3. عبد الحميد الحسامي، الخطاب النسوي في الأدب العربي، مجلة انزياحات - اليمن، عدد 4، سبتمبر 2010، ص 85

4, نور الدين الجريبي، صورة الرجل في الرواية النسائية العربية، "أيام معه" لكوليت خوري نموذجا، الرواية العربية النسائية، الملتقى الثالث للمبدعات العربيات، دار كتابات و"مهرجان سوسة الدولي"، ط 1 – 1999 ، ص 94

5. المرجع نفسه، الصفحة نفسها

6. فيروز بوخالفة، لغة السرد النسوي في أدب زهور ونيسي – مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير – تخصص أدب جزائري حديث، إشراف: د صالح لمباركية، جامعة الحاج لخضر – باتنة، السنة الجامعية: 2013/2012، ص 16

7. سعيدة بن بوزة، سوسيولوجية الكتابة النسوية، النقد السوسيولوجي – وقائع الملتقى الدولي الثاني حول الخطاب النقدي الأدبي المعاصر 2006، منشورات المركز الجامعي 6 خنشلة، 2007، ص 370

8, محمود طرشونة، إشكالية الخصوصية في الرواية النسائية بتونس، الرواية العربية النسائية، مرجع سابق، ص 10

9. المرجع نفسه، الصفحة نفسها

10. المرجع نفسه، الصفحة نفسها

11. نورة الجرموني، الأدب السردي النسائي و إشكالية التنمية، مجلة الراوي، النادي الثقافي – جدة – المملكة العربية السعودية، عدد 23، سبتمبر 2010، ص 44

12. عبد الله محمد الغذامي، المرأة و اللغة، المركز الثقافي العربي، ط1 – 1996، ص 50

13. ينظر: نورة الجرموني، الأدب السردي النسائي و إشكالية التنمية، مرجع سابق، ص 41

14. المرجع نفسه، الصفحة نفسها

15. عبد الله محمد الغذامي، المرأة و اللغة، مرجع سابق، ص 46

16. ينظر: سعيدة بن بوزة، سوسيولوجية الكتابة النسوية، مرجع سابق، ص 367

17. المرجع نفسه، ص 369

18[3]. بوشوشة بن جمعة، الرواية النسائية المغاربية – أسئلة الإبداع و ملامح الخصوصية - ، الرواية العربية النسائية، مرجع سابق، ص 93

19. ينظر: سعيدة بن بوزة، سوسيولوجية الكتابة النسوية، مرجع سابق، ص 371

20. ينظر: محمود طرشونة، إشكالية الخصوصية في الرواية النسائية بتونس، مرجع سابق، ص 11

21. المرجع نفسه، الصفحة نفسها

22. نجوى بركات، المرأة و الكتابة أية حرية، المرأة و الحرية أية كتابة، الرواية العربية النسائية، مرجع سابق، ص 143

23. سعيدة بن بوزة، سوسيولوجية الكتابة النسوية، مرجع سابق، ص 372

24. عبد الله الغذامي، المرأة و اللغة، مرجع سابق، ص 112

25. عبد الحميد ختالة، السرد النسوي في الجزائر، قراءة في أدب السعودي، مجلة المعنى، المركز الجامعي خنشلة، العدد 1، جوان 2008، ص 136

26. محمود طرشونة، إشكالية الخصوصية في الرواية النسائية بتونس، مرجع سابق، ص 11

.أ. أليسيا أوستريكر: ولدت في 11 نوفمبر 1937 بنيويورك، شاعرة يهودية أمريكية، مفكرة و كاتبة مقالات، اشتهرت بكتابة ما يسمى "الشعر النسائي" (*La Poésie Féministe*) . ينظر: *wikipédia* الموسوعة الحرة

27. ينظر: عبد الله الغدامي، المرأة و اللغة، مرجع سابق، ص 54

28. محمود طرشونة، إشكالية الخصوصية في الروائية النسائية بتونس، مرجع سابق، ص 11